الفصل الثاني

مخارج الحروف وصفاتها

الفصل الثاني
مخارج الحروف وصفاتها

أولاً المخرج لغة واصطلاحاً:

المخرج في اللغة: موضع خروج الحرف وظهوره وتمييزه عن غيره بواسطة الصوت[1] ومعنى هذا أنه اسم لمكان خروج الحرف كمدخل اسم لمكان دخول الشيء

وفي الاصطلاح هو الموضع المولد للحرف، وفي علم الأصوات: نقطة في مجرى الهواء يلتقي عندها عضوان من أعضاء النطق التقاءً محكماً مع بعض الأصوات، وغير محكم مع أصوات أخرى[2] وقال الخليل: «هو الموضع الذي يتولد فيه الحرف ويخرج[3] وقال ابن يعيش: المخرج هو المقطع الذي ينتهي الصوت عنده»[4].

لكن ما المخرج المحقق والمخرج المقدر؟ وكيف نتعرف عليهما؟

- المخرج المحقق: يكون له طرفان يصطدم كلاهما بالآخر معتمداً عليهما الصوت، فإن خرج منه الحرف بتصادم الطرفين سمي بالمخرج المحقق، وسمي الحرف بالحرف المحقق، لأننا نستطيع معرفة موضع ولادة الحرف

---

(١) المعجم الوسيط، مادة «حرج» ج ١ ص ٢٣٣

(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٣) تسمى محارج ومدارج وأحيازا ومقاطع ومواضع، انظر معجم العين ج١ ص ٦٤ وما بعدها.

(٤) شرح المفصل ج١٠ ص ١٢٤.

بدقة لوجود حيز له فى عضو النطق، يبدأ صوته منه، وينتهى فيه، وجميع المخارج محققة ما عدا مخرج الجوف.

المخرج المقدر: يكون له طرفان متباعدان، وسمى الحرف بالحرف المقدر لأننا لا نستطيع معرفة ولادة الحرف إلا تقديراً أو إجمالاً، فليس للحرف حيز يبدأ صوته منه وينتهى فيه، بل ينتهى صوته بانتهاء الهواء لا بانتهاء المخرج، لكونه مخرجاً قابلاً لامتداد الصوت فيه. ويخرج من الجوف ثلاثة أصوات مقدرة هى الألف والواو والياء.

والذى بدا لى أن تحديد مخارج الحروف يقع فى صلب الدراسة الصوتية واللغوية، لأن المخرج هو معتمد القارئ أعنى الإنسان الناطق لإخراج صوت الحرف، فكل خلل يصيب فصاحة الحرف العربى سببه عدم ضبط مخرجه، وحيث وُجد المخرج وُجد الحرف، وحيث لا مخرج فلا حرف.

لكن، كيف يحدد مخرج الحرف؟

يمكننا تحديد مخرجه عن طريق نطقه ساكناً بعد همزة وصل متحركة بحركة من الحركات الثلاث، لأنه لا يجوز الابتداء بحرف ساكن فلا بد من تحريكه، ولا يمكن النطق بحرف واحد، يقول العلامة ابن جنى: «ولمعرفة مخرج الحرف والتحقق منه يكون بابتداء همزة الوصل جائياً بالحرف ساكناً ملحوظاً به صفات ذلك الحرف»[1] أو يؤتى به مشدداً بعد همزة وصل[2] لأن النطق بحرف واحد متعذر وغير ممكن، إذ لابد من الابتداء بمتحرك،

---

(١) سر صناعة الإعراب ج١ ص ٧.

(٢) النشر فى القراءات العشر ج١ ص ١٩٩.

والوقوف على ساكن، وما يمكن ذلك فى أقل من حرفين، الأول منهما متحرك والثانى ساكن(١).

فأنت إذا أردت نطق الباء - مثلاً - سَكَّنْتَهُ ووضعت قبله همزة وصل مفتوحة فتنطقه هكذا «أبْ».

وبإمعان النظر فى التطبيق العملى التجريبى لصوت الباء تجد أنه قد احتبس فى مخرج الباء مع تصادم الشفة السفلى بباطن الشفة العليا، ولا يكتمل ولادة الحرف إلا بالقلقلة فتنطقه هكذا «أبَ» حيث تخرج الباء من عُضو النطق «الشفتين» وهو مخرجها العام، يقول ابن سينا: «وأما إذا كان حبس الهواء بآخر الثنية مع الشفة مع حبس تام والإطلاق فى تلك الجهة بعينها حدث الباء(٢).

أما الحيز الذى يعتمد عليه الصوت فهو باطن الشفة السفلى مع باطن الشفة العليا، وهو مخرجها الخاص.

أما الكيفية التى يتكيف بها الصوت فهى كيفية الصوت الشديد لانحباس الصوت بين طرفى المخرج.

والباء صوت مجهور لعدم خروج النفس مع الصوت، وهو من حروف القلقلة لتحركه من مكانه. وبمشيئة الله تعالى سنتعرف على جميع مخارج الحروف وصفاتها فيما بعد وفق المنهج التجريبى الذى نسير عليه فى هذا الجزء من البحث.

---

(٣) ابن سنان، سر الفصاحة: ص ٢٣ .

(١) علوم الصوتيات عند ابن سينا: ص ١١٥ .

أما مخرج الحرف المقدر، أعنى مخرج حروف الجوف «الألف والواو والياء» فيمكننا التعرف عليه عن طريق الإتيان قبلها بحرف محقق متحرك بحركة مجانسة، يصطدم به القارئ أولاً، ثم يتباعد عنه إلى الجوف، فإذا أردنا التعرف على الألف نأتى بحرف محقق متحرك بالفتح نصطدم فى مخرجه أولاً، ثم نتباعد عنه إلى الجوف زمن حركتى فتح نحو «قال - باع - سماء - بناء» يقول ابن سينا: «وأما الألف المصوتة وأختها الفتحة فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء سلساً غير مزاحم»(١)

وإذا أردنا التعرف على مخرج الواو نأتى بحرف محقق متحرك بالضم نصطدم فى مخرجه أولاً، ثم نتباعد عنه إلى الجوف زمن حركتى ضم نحو «يقول - عُهُود - عُقُود - كُنُوز» يقول ابن سينا: «والواو المصوتة وأختها الضمة فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى فوق»(٢)

وإذا أردنا التعرف على مخرج الياء نأتى بحرف محقق متحرك بالكسرة نصطدم فى مخرجه أولاً، ثم نتباعد عنه إلى الجوف زمن حركتى كسر نحو «قِيل - جميِع - يبيع» يقول ابن سينا: «والياء المصوتة وأختها الكسرة فأظن أن مخرجها من إطلاق الهواء من أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل»(٣).

---

(١) علوم الصوتيات عند ابن سينا: ص ١١٦.
(٢) المصدر السابق: الصفحة نفسها.
(٣) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

لكن ما الهدف من معرفة مخرج الحرف؟

معرفة مخرج الحرف ليس الهدف منه معرفة موضع خروج الحرف فقط، وإنما التعرف على صفاته أيضاً من خلال معرفة مخرجه، كما يمكننا معرفة طريقة جلب همزة متحركة قبل الحرف الساكن.

والذى بدا لى أن القدماء كان لهم قصب السبق واليد الطولى فى تحديد مخارج الحروف وصفاتها، فهم يتميزون بالحس اللغوى المرهف، كما أنهم اعتمدوا على دقة الملاحظة والتجريب أثناء نطقهم الحرف، ولم يختلف عنهم المحدثون والمعاصرون - رغم وجود أجهزتهم الصوتية الحديثة التى اعتمدوا عليها أثناء تسجيلهم وتحديدهم لمخارج الحروف وصفاتها إلا فى أشياء يسيرة جداً.

وعلى الرغم من ذلك نلحظ أنهم يختلفون فى عدد مخارج الحروف، ذهب الخليل إلى أنها سبعة عشر مخرجاً[1] وتبعه فى هذا علماء القراءات، حيث جعلوا لحروف المد مخرج الجوف، وهو المخرج السابع عشر عندهم، وإنما نسبت هذه الحروف «الألف والواو والياء» إلى الجوف، لأنه آخر انقطاع مخرجهن[2] فليس لهاجيز تنسب إليه إلا الجوف، من هؤلاء العلماء الذين نصوا على مخرج الجوف مكى بن أبى طالب «ت ٤٣٧هـ» وأبو القاسم الهذلى «ت ٤٦٥ هـ» وأبو الحسن شريح «ت ٥٣٩هـ» وابن الجزرى «ت ٨٣٣هـ»[3].

---

(١) العين: ج١ ص ٥٨ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق: ج١ ص ٦٤، وابن الجزرى، النشر فى القراءات العشر: ج١ ص١٩٩، وأبو حيان، ارتشاف الضرب: ج١ ص ٧.

(٣) النشر فى القراءات العشر: ج١ ص ١٩٩.

أما إمام العربية سيبويه فجعلها ستة عشر مُخْرجاً بإسقاطه مخرج الجوف[1] وتبعه فى هذا جمهرة من اللغويين والنحويين منهم ابن جنى[2] والمبرد[3] وابن السراج[4] وابن يعيش[5] وأبو حيان[6] وبرجشتراسر[7]. ومن المحدثين الدكتور عبد الغفار هلال[8]

وذهب البعض الآخر إلى أنها أربعة عشر مُخْرَجاً، من هؤلاء قطرب «ت٢٠٦هـ» والفراء «ت ٢٠٧هـ» والجرمى «ت ٢٢٥ هـ» وابن دريد «ت٣١١هـ» وابن كيسان «ت ٣٢٠هـ» وغيرهم[9] وهؤلاء هم الذين جعلوا مُخْرَج اللام والنون والراء مخرجاً واحداً.

والذى أرجحه مذهب إمام العربية سيبويه لأنه هو المشهور وهو المتعارف عليه لدى أكثر العلماء والباحثين سواء أكانوا قدامى أم محدثين، يقول: «وحروف العربية ستة عشر مُخْرَجاً:

فأقصاها مُخْرَجاً: الهمزة والهاء والألف.

ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء.

وأدناها مخرجاً من الفم: الغين والخاء.

---

(١) الكتاب: ج ٤ ص ٤٣٣ وما بعدها.

(٢) سر صناعة الإعراب: ج١ ص ٥٢ وما بعدها.

(٣) المقتضب: ج ١ ص ١٩٢.

(٤) الأصول فى النحو: ج٣ ص ٤٠٠.

(٥) شرح المفصل: ح ١٠ ص ١٢٦.

(٦) ارتشاف الضرب: ج١ ص ٤.

(٧) التطور النحوى: ص ١٢ وما بعدها.

(٨) أصوات اللغة العربية: ص ١٢٣.

(٩) ابن الجزرى، التمهيد فى علم التجويد: ص ١٠٥.

ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف. ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف.

ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء.

ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد.

ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مُخْرَجُ النون، ومن مخرج النون غير أنه أدخلُ فى ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مُخْرَجُ الراء.

ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مُخْرَجُ الطاء والدال والتاء.

ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مُخْرَجُ الظاء والذال والثاء.

ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء.

ومما بين الشفيتن مخرج الباء والميم والواو.

ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة[1]

وها هى بعض آراء العلماء فى كلام سيبويه:

١ - زعم الأخفش أن الهمزة أول، وأن الألف والهاء فى رتبة واحدة لا قبلها ولا بعدها[2] وزعم أبو العباس المهدوى وغيره أن الهمزة أول ثم الألف ثم الهاء[3] والذى يدل على فساد ذلك وصحة قول سيبويه أنك متى

---

(١) الكتاب: ج ٤، ص ٤٣٣ وما بعدها.

(٢) سر صناعة الإعراب: ج١ ص ٥٢.

(٣) ارتشاف الضرب: ج١ ص ٥ وما بعدها، والنشر: ج١ ص ١٩٩.

حركت الألف اعتمدت بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل فقلبتها همزة، ولو كانت الهاء معها لقلبتها هاء، وهذا واضح غير خفى[١]

بيد أن الدكتور تمام حسان يعتبرها نتيجة لهيئة حنجرة الرنين الفموية لا إقفال ولا تضييق فى مخرج بعينه شأنها فى ذلك شأن العلل والحركات[٢].

٢ - نَصَّ مكى على تقديم الخاء على الغين[٣] بيد أن ابن خروف «ت ٦١٠هـ» ذهب إلى أن سيبويه لم يقصد ترتيباً فيما هو من مخرج واحد[٤] بيد أن الدراسات الحديثة دلت على صحة كلام سيبويه وأثبتته، يقول الدكتور إبراهيم أنيس : «فلكل صوتين من أصوات الحلق حيز معين، يحلان فيه معاً دون ترتيب لأحدهما على الآخر[٥] وفى موضع آخر يقول : «ولسنا نجد فى كلام سيبويه ما يؤخذ عليه بصدد أصوات الحلق سوى إقحامه فيها ما سماه بالألف، ويبدو أن بعض المتأخرين قد رجعوا عن هذا، إذ لا نجد إشارة للألف بين أصوات الحلق فى كتاب النشر[٦].

٣ - زعم شريح أن مخرج القاف من أول اللهاة مما يلى الحلق ومخرج الخاء منه[٧].

---

(١) سر صناعة الإعراب : ج١ ص ٥٢ .
(٢) مجلة الأزهر، مقال بعنوان «مصطلحات سيبويه فى أصوات العربية : ص ١٠٨٧ .
(٣) ارتشاف الضرب : ج١ ص ٥ .
(٤) المصدر السابق : ج١ ص ٦ .
(٥) الأصوات اللغوية : ص ١١٤ .
(٦) المصدر السابق : ص ١١٥، وانظر فى النشر : ج١ ص ١٩٩ .
(٧) ارتشاف الضرب : ج١ ص ٦ .

٤ - زعم الخليل بن أحمد أن الباء هوائية لا مخرج لها كالألف والواو(١).

٥ - جعل الخليل الضاد شجرية من مخرج الجيم والشين(٢) ولكن عبقرى العربية ابن جنى نص على أن مخرجها من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر(٣)

والذى أراه أن الضاد أصبحت الآن تنطق من بين طرف اللسان وأصول الثنايا، أى يمكن تصنيفها مع التاء والدال والطاء، ويمكننا تفسير هذا فى ضوء قانون التطور الصوتى الذى يحدث للأصوات، والذى بدوره يؤدى إلى سهولة النطق وتيسيره.

وخذ الدليل للمخارج من الجزرية :

مَخَارِجُ الْحُرُوفِ سَبْعَةَ عَشَرْ ... عَلَى الَّذِى يَخْتَارُهُ مَن اخْتَبَرْ

فَأَلِفُ الْجَوْفِ وَأُخْتَاهَا وَهِى ... حُرُوفُ مَدٍّ لِلْهَوَاءِ تَنْتَهِى

ثُمَّ لِأَقْصَى الْحَلْقِ هَمْزٌ هَاءُ ... ثُمَّ لِوَسْطِهِ فَعَيْنٌ حَاءُ

أَدْنَاهُ غَيْنٌ خَاؤُهَا وَالْقَافُ ... أَقْصَى اللِّسَانِ فَوْقُ ثُمَّ الْكَافُ

أَسْفَلُ وَالْوَسْطُ فَجِيمُ الشِّينُ يَا ... وَالضَّادُ مِن حَافَتِهِ إِذْ وَلِيَا

الأَضْرَاسَ مِنْ أَيْسَرَ أَوْ يُمْنَاهَا ... وَاللَّامُ أَدْنَاهَا لِمُنْتَهَاهَا

وَالنُّونُ مِنْ طُرَفِهِ تَحْتَ اجْعَلُوا ... وَالرَّا يُدَانِيهِ لِظَهْرٍ أَدْخَلُ

---

(١) العين: ج١ ص ٥٧ .

(٢) العين: ج١ ص ٥٢ .

(٣) سر صناعة الإعراب: ج١ ص ٥٢ .

وَالطَّاءُ وَالدَّالُ وَتَا مِنْهُ وَمِنْ ... عُلْيَا الثَّنَايَا وَالصَّفِيرُ مُسْتَكِنْ
مِنْهُ وَمِنْ فَوْقِ الثَّنَايَا السُّفْلَى ... وَالظَّاءُ وَالذَّالُ وَثَا لِلْعُلْيَا
مِنْ طَرَفَيْهِمَا وَمِنْ بَطْنِ الشَّفَةْ ... فَالْفَا مَعَ أَطْرَافِ الثَّنَايَا الْمُشْرِفَه
لِلشَّفَتَيْنِ الْوَاوُ بَاءٌ مِيمُ ... وَغُنَّةٌ مَخْرَجُهَا الْخَيْشُومُ

وهناك تصنيف آخر لمخارج الحروف ذكره الخليل فى كتابه العين، ثم استمده منه القدماء والقراء الذين جاءوا من بعده، فقد لاحظوا أن مخارج الحروف السبعة عشر تجمعها عشرة ألقاب، نذكرها على الوجه الآتى[1]:

١ - الأحرف الجوفية أو الهوائية:

ويراد بالجوف الذى ينسب إليه فراغ الحلق والفم حيث ينقطع مخرجها، وهى أحرف المد الثلاثة التى تسمى أيضاً أحرف اللين وهى: الألف وتكون ساكنة، ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، وسميت هذه الأحرف بالهوائية لأنها تنتهى بانقطاع هواء الفم، وسميت بالجوفية لمجيئها من الجوف.

٢ - الأحرف الحلقية:

وهى ستة أحرف: الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء، وهى ما تعرف بحروف الحلق الستة لخروجها منه.

٣ - الأحرف اللهوية:

وهما حرفان: القاف والكاف وسُميا بذلك نسبة إلى اللهاة، وهى لحمة مشتبكة بآخر اللسان بين الفم والحلق، يختلف مخرج كل منهما عن

---

(١) ينظر فى أصوات اللغة العربية للدكتور هلال من ص ١٢٧ : ١٢٩ وأصوات اللغة العربية للدكتور جبل: من ص ١٥٢ : ص ١٥٥ .

الآخر، فالقاف من أقصى اللسان مما يلى الحلق وما يحاذيه من الحنك الأعلى من منبت اللهاة. والكاف من أقصى اللسان بعد مخرج القاف، وقال الخليل: إن مبدأهما من اللهاة مما يلى الحلق[1] لكن القاف لهوية والكاف طبقية فى نظر بعض المحدثين[2].

٤- الأحرف الشجرية:

وهى ثلاثة: الجيم والشين والياء الصحيحة غير المدية، والضاد وهى من مخرج واحد، وسميت تلك الحروف بذلك لأنها من شَجْر الفم[3]، أى مفرج الفم، وهو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى.

٥- الأحرف الأسلية:

وهى الصاد والسين والزاى، ومخارجها متقاربة ما بين رأس اللسان، وبين صفحتى الثنيتين العليين، والصاد أدخلها فى هذا المخرج، والسين أوسطها، والزاى أبعدها. وسميت أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهى طرفه[4].

٦- الأحرف النطعية:

وهى الطاء والتاء والدال، وهى متقاربة المخارج، وسميت بذلك لأن مبدأها من ظهر الغار الأعلى وهو موضع اللسان من الحنك[5]، وتخرج مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا.

٧- الأحرف اللثوية:

وهى الظاء والذال والثاء، وهي متقاربة المخارج، ما بين ظهر اللسان مما

---

(١) أبو حيان، ارتشاف الضرب: ج١ ص ٦، والعين: ج١، ص ٥٨.

(٢) د. أنيس، الأصوات اللغوية: ص ٨٤، ود. كمال بشر، علم اللغة العام: ص ١٠٨ وما بعدها.

(٣) العين: ج١ ص ٥٧، والمعجم الوسيط مادة شجر: ج١ ص ٤٩٢.

(٤) المعجم الوسيط: مادة أسل: ج١، ص ١٨.

(٥) المصدر السابق: مادة نطع: ج٢ ص ٩٦٨.

يلى رأسه وبين رأس الثنيتين العليين، وسميت بذلك لأن مبدأها من اللثة، أو لخروجها من قرب اللثة.

٨ - الأحرف الذلقية:

وهى الراء واللام والنون المظهرة وأدرج القدماء الضاد معها وأطلقوا عليها حروف طرف اللسان وما يقابلها من الحنك الأعلى[١]، واللام أوسع الحروف مخرجاً، إذ يمكن إخراجها من كلتا حافتى اللسان وما يحاذيهما من الضاحكين والنابين والرباعيتين. والنون المظهرة تخرج من طرف اللسان، بينه وبين ما فويق الثنايا، أما اللام فهى أدخل فى ظهر اللسان ما بين رأسه وما يحاذيه من لثة الثنيتين العليين، «وسميت بذلك لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو طرفه»[٢].

٩ - الأحرف الشفهية أو الشفوية:

وهى الفاء والباء والميم والواو الصحيحة غير المدية، وسميت بذلك لأن مبدأها من الشفة غير أن الفاء مما بين باطن الشفة السفلى، ورأس الثنيتين والثلاث الباقية مما بين الشفتين معاً.

١٠ - الأحرف الخيشومية:

وهى النون الساكنة أو التنوين والميم الساكنة حين إدغامها بغنة، أو إخفائها، والنون والميم المشددتان، فإن مخرج هذين الحرفين يتحول فى هذه الحالة عند مخرجها الأصلى على القول الصحيح، فهما حينئذ من الأنف والخياشيم على حين كانت لهما فى غير ذلك مخارج أخرى.

وفيما يلى رسم توضيحى يبين لنا ألقاب الحروف:

---

(١) الكتاب: ج٤، ص ٤٣٢ وارتشاف الضرب: ج١، ص ٦ وما بعدها.

(٢) المعجم الوسيط: حادة ذلق: ج٢، ص ٣٢٦.

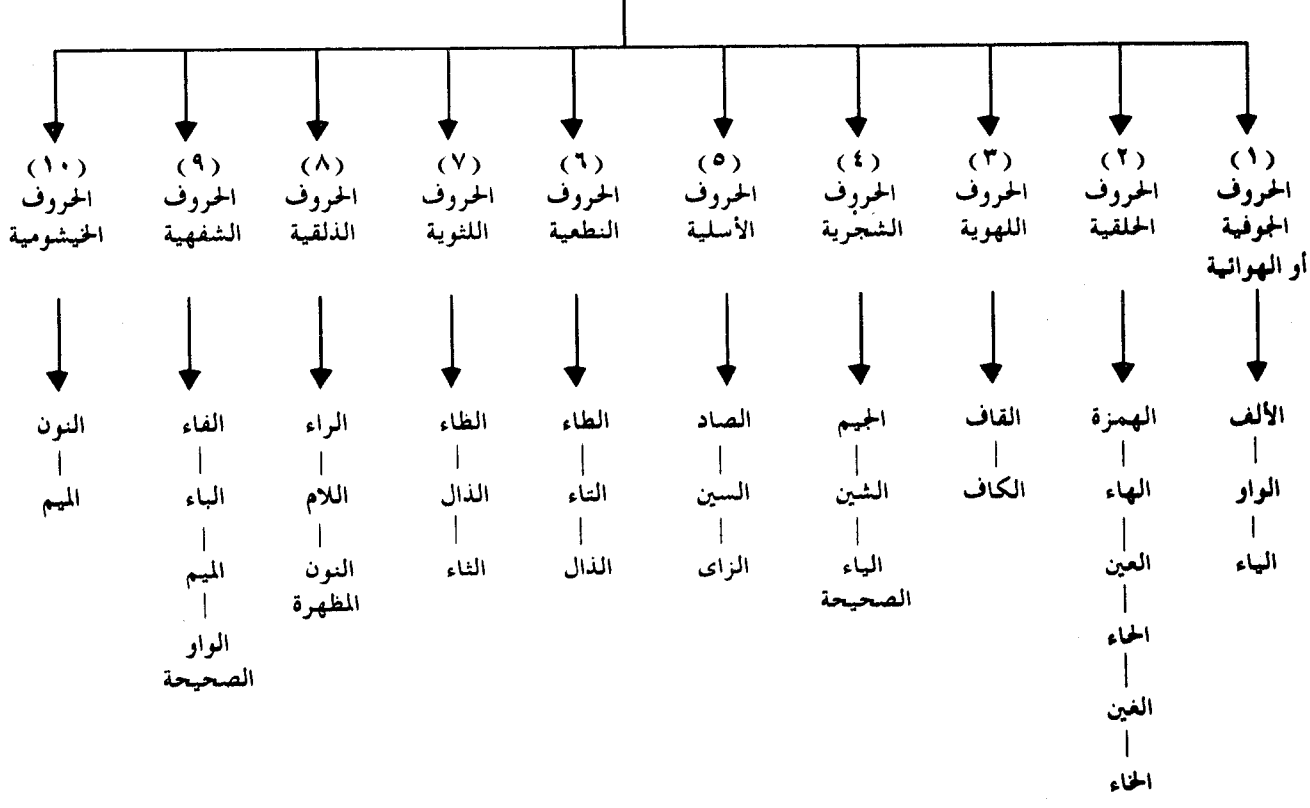
(١) الحروف الجوفية أو الهوائية
الألف
الواو
الياء
(٢) الحروف الحلقية
الهمزة
الهاء
العين
الحاء
الغين
الخاء
(٣) الحروف اللهوية
القاف
الكاف
(٤) الحروف الشجرية
الجيم
الشين
الياء الصحيحة
(٥) الحروف الأسلية
الصاد
السين
الزاى
(٦) الحروف النطعية
الطاء
التاء
الذال
(٧) الحروف اللثوية
الظاء
الذال
الثاء
(٨) الحروف الذلقية
الراء
اللام
النون المظهرة
(٩) الحروف الشفهية
الفاء
الباء
الميم
الواو الصحيحة
(١٠) الحروف الخيشومية
النون
الميم

صفات الحروف

أولاً الصفة لغة واصطلاحاً:

الصفة لغة: الحالة التى يكون عليها الشيء من حليته ونعته: كالسواد والبياض، والعلم والجهل[1].

ومعنى هذا أن الصفة تكون حسية تدرك بإحدى الحواس كالسواد والبياض، أو معنوية لا يمكن رؤيتها ولا لمسها كالعلم والجهل.

أما الصفة اصطلاحاً فهى كيفية تَكَيَّفَ بها صوت الحرف عند النطق به، فتميزه عن غيره، وهذه الكيفية قد تكون لازمة للحرف فلا يمكن النطق به بدونها، أو تكون عارضة له فتزول عنه بزوال السبب.

لكن، ما فائدة دراسة هذه الصفات؟

لدراسة صفات الحروف فوائد متعددة أهمها:

١ - تمييز المخرج الجيد من المخرج الردئ، لأن الحرف إذا اختل مخرجه اختلت صفته وأصبح رديئاً من ذلك - مثلاً - القاف، لو أخرجناها من مخرج الكاف لأضحت مهموسة، والقاف كما هو معروف مجهورة.

٢ - ضبط مخارج الحروف التى دُمجت فى مخرج واحد للتقارب الشديد الذى يصعب معه الفصل، والتى نسميها بالحروف المتجانسة كالسين والزاى: حرفان متجانسان، كل منهما له صفة تميزه عن الآخر فالسين مهموسة والزاى مجهورة.

٣ - ضبط مخارج الحروف المتقاربة فى المخرج وفى الصفات، من ذلك

---

(١) المعجم الوسيط: ج٢ ص ١٠٧٩.

-مثلاً- حروف رأس طرف اللسان، كالزاى والسين والثاء، يمكننا من خلال ضبط مخرجها تمييز صفة الصفير.

هذا ويمكننا تقسيم صفات الحروف إلى قسمين :

* صفات لازمة «أصلية» وهى الصفات المكونة لصوت الحرف، والتى لا يمكن إخراجه وولادته إلا بها.

* صفات غير لازمة «عارضة» وهى التى تنشأ من تجاور الحرف مع غيره من الحروف، بحيث إذا انفصل الحرف عن مجاوره زالت عنه تلك الصفة.

أولاً الصفات اللازمة «الأصلية» :

وتنقسم إلى قسمين : قسم له ضد، وآخر ليس له ضد.

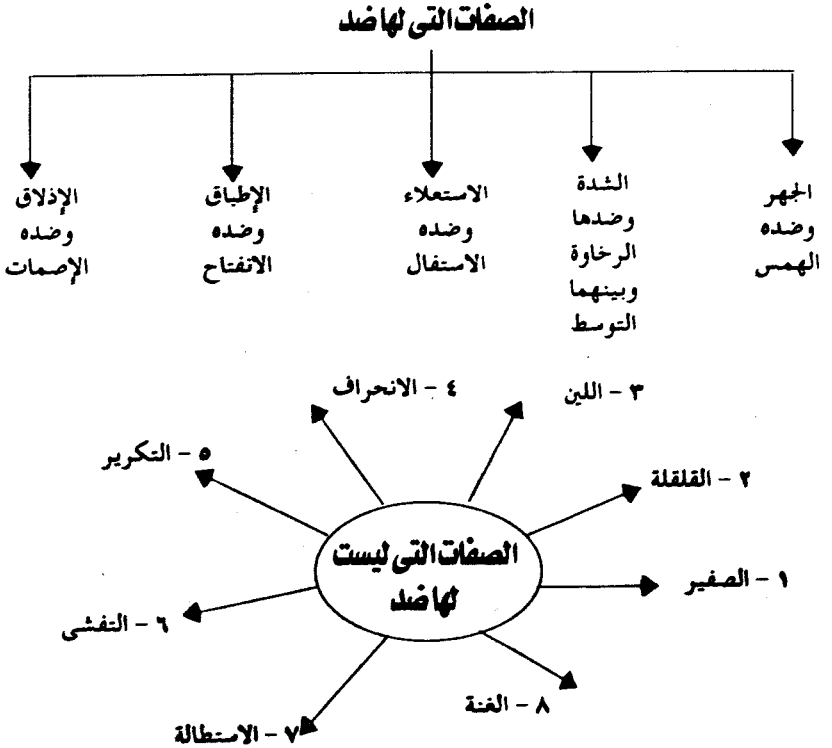

وفيما يلى البيان والتفصيل:

أولاً الصفات التى لها ضد:

١ - الجهر وضده الهمس:

الجهر لغة: الإعلان والوضوح، وفى المعجم الوسيط: أجهر: أعلن وأجهر بالكلام ونحوه: جهر به[١] ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾[٢] أى: لا تعلنها وترفع صوتك بها.

أما الجهر اصطلاحاً فهو اهتزاز الحبلين الصوتيين بقوة كافية، لأن يتكيف الهواء المار من بينهما بالصوت، وهما فى هذا الوضع يهتزان اهتزازاً منظماً - كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس - ويحدثان صوتاً موسيقياً تختلف درجته حسب عدد هذه الهمزات أو الذبذبات فى الثانية[٣].

وجميع الحروف مجهورة ما عدا الحروف التى جمعها ابن الجزرى فى قوله «فحثه شخص سكت» فهى مهموسة، وللجهر ما بقى من الحروف، وقد حددها أيضاً علماؤنا القدامى ونبهوا عليها. يقول سيبويه: «فأما المجهورة فالهمزة، والألف، والعين، والغين، والقاف، والجيم، والياء، والضاد، واللام، والنون، والراء، والطاء، والدال، والزاى، والظاء، والذال، والباء، والميم، والواو، فذلك تسعة عشر حرفاً»[٤].

---

(١) المعجم الوسيط، مادة «جهر»: ج١ ص ١٤٧.
(٢) سورة الإسراء، آية: ١١٠.
(٣) د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص ٢٠.
(٤) سيبويه، الكتاب: ج٤ ص ٤٣٤.

وحروف الجهر مجهورة لقوتها من قوة الاعتماد عليها فى مخارجها، فتخرج بصوت قوى مجهور يمتنع النفس من الجرى معها، يقول إمام العربية: «فالمجهورة: حروف أشْبَعَ الاعتمادُ فى موضعه، ومَنَعَ النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد عليه، ويجرى الصوت حال المجهورة فى الحلق والفم»[1] ولعله يقصد بالجهر رفع الصوت، وذكر منع النفس كأثر مؤقت للاعتماد الذى هو الضغط الذى يولد زمير الصوت.

وجهر بعض الحروف أقوى من البعض الآخر على قدر ما فى الحروف من صفات قوة بجانب صفة الجهر. فالطاء أقوى من الذال، وإن اشتركا فى صفة الجهر، والسبب تميز الطاء عن الذال بالاستعلاء والإطباق والشدة. وقس على ذلك بقية الحروف المجهورة.

ولاختبار جهر الصوت يمكن أن تجرى إحدى التجارب الآتية:[2]

١ - التجربة الأولى: نضع الأصبع فوق تفاحة آدم ثم ننطق بصوت من الأصوات وحده مستقلاً عن غيره من الأصوات، ولا يتأتى هذا إلا بأن نشكل الصوت موضع التجربة بذلك الزمر الذى يسمى السكون مثل «بْ» ويجب الاحتراز من الإتيان قبله بألف وصل كما كان يفعل القدماء من علماء الأصوات، لأن الصوت حينئذ لا يتحقق فيه الاستقلال الذى هو أساس التجربة الصحيحة، فإذا نطقنا بالصوت وحده، وكان من المجهورات نشعر باهتزازات الوترين الصوتيين شعوراً لا يحتمل الشك.

---

(١) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

(٢) انظر هذه التجارب فى الأصوات اللغوية للدكتور أنيس، ص ٢٠، وأصوات اللغة العربية للدكتور هلال: ص ١٣٦ وما بعدها وعبقرى اللغويين: ج٢، ص ٥٨٧.

٢ - التجربة الثانية : نضع أصابعنا في آذاننا ، ثم ننطق بنفس الصوت ، وهو - وحده مستقلاً عن غيره ، نحس برنة الصوت في رؤوسنا .

٣ - التجربة الثالثة : يضع المرء كفه فوق جبهته في أثناء نطقه بالصوت موضع الاختبار ، فيحس برنين الصوت ، وذلك الرنين هو صدى ذبذبة الوترين الصوتيين.

صفة الهمس:

الهمس لغة : كل خفي من كلام ونحوه... والمهموس من الكلام: غير الظاهر ، ومن الحروف: غير المجهور ، وهو ما يضعف الاعتماد على موضع مخرجه عند النطق به ، وعلامته: أن يبقى النفس جرياً عند النطق به[١] والهمس: الخفاء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً ﴾[٢] أي صوتاً خفياً ضعيفاً .

أما الصوت المهموس اصطلاحاً فهو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان ، ولا يسمع لهما رنين حين النطق به ، وليس معنى هذا أن ليست للنفس معه ذبذبات مطلقاً ، وإلا لم تدركه الأذن ، ولكن المراد بهمس الصوت هو صمت الوترين الصوتيين معه ، رغم أن الهواء في أثناء اندفاعه من الحلق أو الفم يحدث ذبذبات يحملها الهواء الخارجي إلى حاسة السمع فيدركها المرء من أجل هذا[٣] .

---

(١) المعجم الوسيط ، مادة «همس» : ج٢ ص ١٠٣٥ .

(٢) سورة طه ، آية : ١٠٨ .

(٣) د. إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية : ص ٢٠ وما بعدها.

وجمع ابن الجزرى الحروف المهموسة فى قوله «فحثه شخص سكت»، ومن قبله حددها لنا إمام العربية سيبويه قائلاً: «وأما المهموسة فالهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والشين، والسين، والتاء، والصاد، والثاء، والفاء، فذلك عشرة أحرف»(١).

وهمس بعض الحروف أقوى من بعض على قدر ما فى الحرف من صفات ضعف بجانب صفة الهمس. فأقوى الحروف همساً أضعفها صفة، فأقوى الهمس «الهاء - الفاء - الحاء - الثاء» لأن جميع صفاتها ضعيفة، وأقل الحروف همساً الصاد لاستعلائها وإطباقها وصفيرها.

والحرف المهموس هواؤه كثير لا يتكيف كله بالصوت، قال إمام العربية سيبويه: «وأما المهموس فحرف أُضعفَ الاعتمادُ فى موضعه حتى جرى النفس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرَدَّدتَ الحرف مع جَرْى النفس. ولو أردت ذلك فى المجهورة لم تقدر عليه. فإذا أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد، أو بما فيها منها، وإن شئت أخفيت(٢).

لكن، كيف نفرق بين الحرف المجهور والحرف المهموس؟

يمكن التفريق بينهما عن طريق نَفَس الحرف، إن تكيف كله بكيفية الصوت حتى حصل صوت قوى كان الحرف مجهوراً، وإن بقى بعضه بلا صوت كان الحرف مهموساً.

فإذا نطقنا الذال الساكنة - مثلاً - قلنا (أَذْ) ومددناها، وجدنا نَفَسَهَا

---

(١) سيبويه، الكتاب: ج٤ ص ٤٣٤.

(٢) سيبويه، الكتاب: ج٤ ص ٤٣٤.

كله متكيفاً بصوت ومن ثمَّ فهى حرف مجهور. وإذا نطقنا الصاد الساكنة فقلنا (أصْ) ومددناها وجدنا بعض نَفَسها صوتاً وبعضه مهموساً ومن ثم فهى حرف مهموس.

٢ - الشدة وضدها الرخاوة وبينهما التوسط:

الشدة لغة : القوة، شد الشيءُ: قوى ومَتُنَ»[١] واصطلاحاً: إعاقة الهواء الموظف لنطق الحرف إعاقة تامة بسبب لزوم المخرج والحبليين الصوتيين لوضع الانغلاق التام. وعرفه أستاذنا الدكتور هلال بأنه الحرف الذى يمنع الصوت من أن يجرى فيه، فلو قلت: الحق والشط، ثم رمت مد صوتك فى القاف والطاء لكان ذلك ممتنعاً[٢]

والحرف الشديد: صوت عند مخرجه ينحبس الهواء انحباساً تاماً لحظة قصيرة، بعدها يندفع الهواء فجأة، فيحدث دوياً، كالدال والتاء مثلاً[٣] يقول الدكتور أنيس «فحين تلتقى الشفتان التقاءً محكماً فينحبس عندهما مجرى النفس المندفع من الرئتين لحظة من الزمن بعدها تنفصل الشفتان فجائياً، يحدث النفس المنحبس صوتاً انفجارياً، هو ما نرمز إليه فى الكتابة بحرف الباء. فهذا النوع من الأصوات الانفجارية هو ما اصطلح القدماء على تسميته بالصوت الشديد، وما يسميه المحدثون انفجارياً Plosive»[٤]

ومعنى هذا أن الحروف الشديدة سميت بذلك لاحتباس الصوت عن الجريان عند النطق بها لقوة الاعتماد عليها فى مخارجها، فإذا قلت «أج - أت» يتصادم طرفا المخرج لدرجة تحبس الصوت فلا يجرى معهما، وهكذا مع

---

(١) المعجم الوسيط، مادة «شدد»: ج١ ص ٤٩٤ .
(٢) عبقرى اللغويين : ج٢، ص ٥٨١ .
(٣) المصدر السابق، المادة نفسها.
(٤) د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص ٢٣ .

أخواتها، يقول إمام العربية سيبويه: «ومن الحروف الشديد، وهو الذى يمنع الصوت أن يجرى معه. وهو الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والدال، والباء، وذلك أنك لو قلت أَلْحَجَ ثم مددت صوتك لم يجز ذلك[1] وقد جمعها ابن الجزرى فى قوله: «أجد قطن بكت». وأقوى الحروف الشديدة حرف الطاء لاجتماع صفات القوة فيه، ما لم يجتمع مع غيره، وأضعف الحروف الشديدة الكاف والتاء بسبب همسهما. فلولا الهمس فى الكاف والتاء لكانت كل الحروف الشديد مجهورة.

والحرف الشديد سواء أكان مجهوراً أو مهموساً يحتبس الصوت والنفس فيه أولاً، ولا يعرف جهره من همسه إلا بما يأتى عقب الاحتباس، فإن كان زمن الاحتباس قصيراً وخرج الصوت بالقلقلة كان الحرف شديداً مجهوراً، وإن كان زمن الاحتباس طويلاً وخرج الهمس بعده كان الحرف شديداً مهموساً، بمعنى إن خرج صوت عقب الاحتباس فهو مجهور، وإن خرج همس فهو مهموس، وخروج الهمس دليل على ضعف الشدة، وهذا ما يحدث مع «الكاف والتاء» والجهر والقلقلة دليلان على قوة الشدة، وهذا ما يحدث مع حروف القلقلة التى يجمعها قولنا «قطب جد» أما الهمزة فلا قلقلة فيها، وزمنها هو أن يحتبس الصوت فى مخرجها.

صفة التوسط:

التوسط لغة: الاعتدال، توسط فلان: أخذ الوسط بين الجيد والردئ وتوسط بينهم: وسط فيهم بالحق والعدل[2].

---

(١) سيبويه، الكتاب: ج٤ ص ٤٣٤.

(٢) المعجم الوسيط مادة «وسط»: ج٢ ص ١٠٧٣.

وأما التوسط فى الاصطلاح فهو إعاقة الهواء الموظف لنطق الحرف بسبب انغلاق المخرج والحبلين الصوتيين، ثم زوال تلك الإعاقة بفتح الحبلين الصوتيين لوجود فتحة فى المخرج ينفذ منها الصوت، أعنى بذلك أن مجرى النفس ينسد مع نطق الحرف، بيد أنه يجد سبيله للخروج.

وقد نَبَّه على هذا الدكتور إبراهيم أنيس قائلاً: «على أنه رغم التقاء العضوين مع بعض الأصوات قد يجد النفس له مسرباً يتسرب منه إلى الخارج، وحينئذ يمر الهواء دون أن يحدث أى نوع من الصفير أو الحفيف، ويلاحظ هذا مع اللام والنون والميم والراء، ولعل هذا هو الذى دعا القدماء إلى تسمية هذه الأصوات الأربعة بالأصوات المتوسطة، أى التى ليست انفجارية ولا احتكاكية[1].

وقد عَدَّ القدماء «العين» صوتاً متوسطاً أيضاً، يقول إمام العربية سيبويه: «وأما العين فبين الرخوة والشديدة، تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء»[2] بيد أن قلة التجارب الحديثة التى أجريت على أصوات الحلق لا نستطيع أن نرجح هذه الصفة لحرف العين، بل نتركها لتجارب المستقبل تبرهن عليها.

وأيا كان الأمر فإن الحروف المتوسطة قد جُمعت فى قول ابن الجزرى: «وبين رخو والشديد لن عمر»... وقد سميت بذلك لأن صوتها يحتبس احتباساً ضئيلاً فى مكان، ثم يجرى جرياناً ضئيلاً فى مكان آخر، فتوسطت بين الشدة والرخاوة.

---

(١) الأصوات اللغوية: ص ٢٤.

(٢) سيبويه، الكتاب: ج٤ ص ٤٣٥.

والذى بدا لى أن النفس يجد سبيله للخروج إما بالانحراف إلى سبيل آخر ينصرف منه كما فى نطق «اللام والميم والنون» وإما بالانفلات من الخلل الذى يحدثه توالى المخرج وانفتاحه كما فى الراء، وإما بالانزلاق من بين الأثناء الرخوة للسد الذى فى طريقه كما فى نطق العين.

صفة الرخاوة:

الرخاوة تعنى جريان صوت الحرف جرياناً تاماً مع صدوره، ويكون ذلك إذا تولد الحرف بتضييق مجرى النفس عند مقطع الحرف، أى مخرجه، فهذا التضييق لا يحبس جريان النفس، وإنما يسمح بمروره مع احتكاكه بجدران المضيق. وعرفه أستاذنا الدكتور هلال بأنه هو الذى يجرى فيه الصوت وذلك كقولك المس والرش والشح ونحو ذلك فتمد الصوت جارياً مع السين والشين والحاء وحروفه ما عدا الشديدة(١)

وقد حدد لنا القدماء الحروف الرخوة، يقوم إمام العربية سيبويه: «ومنها الرخوة وهى: الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشين، والصاد، والضاد، والزاى، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء، وذلك إذا قلت الطَّسْ وانْقَضْ، وأشباه ذلك أجريتَ فيه الصوت إن شئت»(٢)

والرخاوة صفة من صفات الضعف، وسميت حروفها بالرخوة لضعف الاعتماد عليها فى المخرج حتى جرى معها الصوت، فكان فيه رخاوة ولين. فإذا قلت: «أذْ أو أشْ» تجد الصوت يجرى معهما وطبق ذلك على باقى حروف الرخاوة.

---

(١) عبقرى اللغويين: ج٢، ص ٥٨١.

(٢) الكتاب: ج٤ ص ٤٣٤ وما بعدها.

٣ - الاستعلاء وضده الاستفال:

الاستعلاء هو ارتفاع أقصى اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف استعلاءً بقوة الإرادة. يقول عبقرى العربية ابن جنى: «إن معنى الاستعلاء أن تتصعد الحروف فى الحنك الأعلى، والحروف المستعلية سبعة يجمعها قولك: خص ضغط قظ»[١] ومنعها فيها مع استعلائها إطباق.. وأما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها[٢]. وصفة الاستعلاء صفة قوية وسميت حروفها بالمستعلية لاستعلاء الصوت معها.

أما الاستفال فهو ضد الاستعلاء بمعنى عدم استعلاء أقصى اللسان بقوة الإرادة عند النطق بالحرف. أعنى بذلك انحطاط اللسان عند خروج الحرف إلى قاع الفم، أى لا يرتفع نحو الحنك. والحروف المستفلة هى الحروف الباقية من حروف الهجاء بعد أحرف الاستعلاء السبعة السابق ذكرها. وهى: الهمزة، الباء، التاء، الثاء، الجيم، الحاء، الدال، الذال، الراء، الزاى، السين، الشين، العين، الفاء، الكاف، اللام، الميم، النون، الهاء، الواو، الياء». ويمكننا أن نطلق على الاستعلاء التفخيم، وعلى الاستفال الترقيق.

٤ - الإطباق وضده الانفتاح:

الإطباق: أن ترفع فى النطق لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له لحروف المطبقة أربعة هى: «الصاد، والضاد، والطاء، والظاء» وما سوى ذلك فمفتوح غير مطبق[٣]، وذكرها ابن الجزرى فى قوله: «وصاد ضاد طاء

---

(١) ابن جنى، سر الصناعة: ج١، ص ٧١.
(٢) المصدر السابق: الصفحة نفسها، وعبقرى اللغويين: ج٢، ص ٥٨٢.
(٣) سر الصناعة: ج١، ص ٧٠، والمعجم الوسيط: مادة «طبق»: ج٢ ص ٥٧٠.

ظاء مطبقة» وهذه الأحرف الأربعة - كما يقول إمام العربية سيبويه - إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحرف(١).

ومعنى هذا أن حروف الإطباق سميت بالمطبقة لانحصار صوتها بين صفحة اللسان وغار الحنك مما زاد تفخيمها مقارنة بغيرها من حروف الاستعلاء.

وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأن الحرف المطبق هو المستعلى استعلاء زائداً مقارنة بباقي أحرف الاستعلاء، فإذا ذكرت صفة الإطباق منفردة فلا بد أن تشمل الاستعلاء والإطباق، فكل حرف مطبق مستعلٍ، وسبب الإطباق هو مخرج الحرف المستعلى، وذلك لاستعلاء طرف اللسان مع استعلاء أقصاه بدرجات متفاوتة بحسب مخرج الحرف، وقد بَيَّن لنا إمام العربية أهمية الإطباق بحصر الصوت قائلاً: «ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام»(٢). لأنه ليس من موضعها شيء غيرها فتزول الضاد إذا عدمت الإطباق ألبتة(٣)

أما الانفتاح فهو ضد الإطباق، ويعني تجافي اللسان والحنك كل منهما عن الآخر عند النطق بالحرف، بمعنى أن الصوت لا ينحصر بين صفحة اللسان وغار الحنك الأعلى بسبب تجافي اللسان عن غار الحنك الأعلى بسبب مخرج الحرف، وحروف الانفتاح جميع حروف الهجاء ما عدا

---

(١) الكتاب: ج٤ ص ٤٣٦.

(٢) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

(٣) ابن جني، سر الصناعة: ج١، ص ٧٠ وما بعدها.

الأربعة المطبقة التى تحدثنا عنها، بمعنى أن كل الحروف منفتحة ما عدا الحروف المطبقة الأربعة، يقول إمام العربية: «والمنفتحة: كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى»(١)

والذى بدا لى أن الاستعلاء والإطباق من صفات القوة، فالحرف المستعلى المطبق المجهور الشديد أقوى استعلاءً، وبالتالى أقوى تفخيماً من الحرف المستعلى المطبق المجهور الرخو.

والحرف المجهور الرخو أقوى استعلاء من المهموس الرخو، وبالتالى أقوى تفخيماً منه، ولذلك كانت الطاء أقوى تفخيماً من الضاد لشدة الطاء ورخاوة الضاد، والضاد أقوى تفخيماً من الظاء لقوة استعلاء الضاد بالاستطالة، والظاء أقوى تفخيماً من الصاد، لجهر الظاء وهمس الصاد.

٥- الإذلاق وضده الإصمات:

الذلاقة اصطلاحاً تعنى حدة اللسان وطلاقته، وذلق اللسان: كان حاداً طلقاً(٢)

أما الذلاقة اصطلاحاً فالمراد بها الحروف التى تتصف بالخفة والسلاسة فى نطقها، أعنى بذلك سرعة النطق بالحرف وخفته لخروجه من ذَلَق اللسان، وما يليه من الشفتين باعتبارهما نهاية جهاز النطق فَذَلَقُ كل شيء طرفه، والحروف المنزلقة جمعها ابن الجزرى فى قوله: «وفَرَّ من لُبِّ الحروف المذلقة» وهى: «الفاء، الراء، الميم، النون، اللام، الباء» وقد سميت هذه

---

(١) الكتاب: ج٤ ص ٤٣٦.

(٢) المعجم الوسيط، مادة «ذلق»: ج١ ص ٣٢٦.

الأحرف بالأحرف المُذلقة لأنها - كما يقول الخليل - تخرج من ذلق اللسان وهو طرفه مع طرف غار الفم[1]. وقال أستاذنا الدكتور هلال: المذلقة هي التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه، وهي ستة «مربنقل»[2]

والذي بدا لي أنها سميت بالحروف المذلقة لخفتها وسرعة النطق بها لخروج بعضها من ذلق اللسان وهي اللام والنون والراء وخروج الأخرى من الشفتين وهي: «الميم والباء والفاء» فهي أخف الحروف على اللسان.

أما الإصمات فهو ضد الإذلاق، وهو لغة مشتق من الصمت، صمت يصمت صمتاً... لم ينطق، ويقال لغير الناطق: صامت، ولا يقال: ساكت[3].

وصفة الإصمات اصطلاحاً هي الممنوعة من أن تنفرد بنفسها في كلمة في لغة العرب إذا كثرت حروفها لصعوبتها على اللسان. وحروف الإصمات هي الباقية من حروف الهجاء بعد حروف الذلاقة الستة.

والمصمتة هي ما صمت عنها أن تبنى منها كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلاقة[4]

وقد سميت بالحروف المصمتة لثقلها حين النطق بها، فهي لا تنفرد بنفسها في كلمة كثيرة الحروف، أعني على أكثر من ثلاثة أحرف، حتى يكون معها غيرها من الحروف المذلقة، بمعنى أنها ثقيلة بخلاف المذلقة فهي

---

(١) الخليل بن أحمد، العين: ج١ ص ٥٧.
(٢) عبقري اللغويين: ج٢، ص ٥٨٣.
(٣) المعجم الوسيط، مادة «صمت»: ج١ ص ٥٤٢.
(٤) عبقري اللغويين: ج٢، ص ٥٨٣.

خفيفة فالشيء المصمت أثقل من الشيء الفارغ، وقد علل العلامة ابن جنى تسميتها مصمتة بأنها : «صُمت عنها أن تبنى منها كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلاقة»(١).

ومعنى هذا أن الكلمات الرباعية أو الخماسية لا تخلو من حروف الذلق، فلابد فيها من حرف أو حرفين، نحو جعفر - مثلاً - تجد فيها الفاء والراء من حروف الذلق. وسلهب تجد فيها اللام والباء وهكذا.

والآن نذكر صفات الحروف التى لها ضد مجتمعة على نحو ما جاء فى المقدمة الجزرية لابن الجزرى، يقول:

صفاتها جهر ورخو مستفل ... منفتح مصمتة والضد قل
مهموسها فحثه شخص سكت ... شديدها لفظ أجد قط بكت
وبين رخو والشديد لن عمر ... وسبع علو خص ضغط قظ حَصَر
وصاد ضاد طاء ظاء مطبقه ... وفَرَّ من لُبِّ الحروف المذلقة

وكل حرف من الحروف لابد أن يأخذ صفة واحدة من كل صفتين متضادتين فيكمل له خمس صفات ما عدا الألف فلا تجمع من الصفات إلا صفات الجهر والرخاوة.

ثانياً الصفات التى لا ضد لها

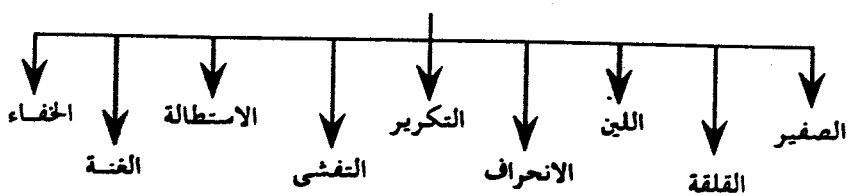

(١) سر صناعة الإعراب: ج١ ص ٧٥.

وفيما يلى البيان والتفصيل :

١ - صفة الصفير:

وهو صوت يخرج من بين الشفتين يصحب الصاد والزاى والسين عند خروجهن، قال ابن الجزرى: «صفيرها صاد وزاى سين».. وسبب حدوث الصفير انحصار الصوت فى مكان محكم عند خروج هذه الأحرف الثلاث بين طرف اللسان والثنايا العليا فيضيق منفذه فيصفر فى خروجه. فكلما زادت درجة انحصار الصوت كانت سرعة اندفاعه للخارج أكبر، وكان صوت صفيره أعلى.

٢ - صفة القلقة:

وهى تحريك الحرف الشديد المجهور فور احتباسه باضطراب طرفى مخرجه، وحروف القلقة خمسة جمعها ابن الجزرى فى قوله: «قلقلة قطب جد» وهى: القاف، الطاء، الباء، الجيم، الدال».

وأقوى الحروف قلقلة الطاء لاستعلائها وإطباقها، ثم القاف لاستعلائها وانفتاحها، ثم الجيم والدال والباء فى مستوى واحد. لاستفالهن وانفتاحهن. أما صفة الإذلاق التى فى الباء فصفة غير صوتية لا أثر لها فى النطق.

٣ - صفة اللين:

وهى تعنى مرونة مخرج الواو والياء المحققتين، وإمكانية تباعد طرفيه فيجرى صوتهما فى الجوف فى سهولة وبغير كلفة كجريان حروف المد واللين الثلاثة نحو: «بَيْتَ - خَوْف» قال إمام العربية سيبويه: «ومنها (اللينة) وهى الواو والياء، لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من

اتساع غيرهما كقولك: «واى» والواو. وإن شئت أجريت الصوت ومددت»[1]

ولعل السبب فى اقتصار ذكر الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما عند الكلام على صفة اللين هو كون إمكانية جريان الصوت وامتداده فى الجوف بسهولة وبدون كلفة لا يكون إلا فيهما دون باقى الحروف المحققة.

٤ - صفة الانحراف:

الصوت المنحرف هو الذى يحيد عن الموضع الذى احتبس فيه ليجرى فى موضع آخر، وهو - كما يقول إمام العربية سيبويه - حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام. وإن شئت مددت فيها الصوت، وليس كالرخوة، لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه، وليس يخرج الصوت من موضع اللام، ولكن من ناحيتى مستدق اللسان فويق ذلك»[2].

ونفهم من هذا الكلام أن الحرف المنحرف هو اللام فقط، بيد أن الحروف المنحرفة حرفان هما اللام والراء، كما فى قول ابن الجزرى: «والانحراف صُححا فى اللام والراء و... ومعنى صححا أى على القول الصحيح. ففى اللام: ينحرف الصوت ليحيد عن حافتى اللسان الأماميتين عقب احتباسه ليجرى فى الحافتين الخلفيتين.

وفى الراء: ينحرف الصوت ليحيد عن جانبى الطرف عقب احتباسه ليجرى فى وسطه.

---

(١) الكتاب: ج٤ ص ٤٣٥.

(٢) المصدر السابق: الصفحة نفسها.

ونظراً لاتساع مخرج اللام عند مخرج الراء كان الانحراف فى اللام كثيراً، وفى الراء قليلاً.

٥- صفة التكرير:

وهى صفة ذاتية خاصة بحرف الراء فقط، قال عنه سيبويه : «هو حرف شديد يجرى فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه، وهو الراء»(١).

ومعنى هذا أنه لابد من ارتعاد طرف اللسان عند النطق بالراء أكثر من مرة، فتخرج راءات عديدة.

٦- صفة التفشى:

ونعنى به تدفق الهواء الكثير الحامل للصوت من بين وسط اللسان وغار الحنك، وانتشاره فى الفم حتى يصل إلى مقدمته.

وللتفشى حرف واحد هو الشين، يتميز بالانتشار والانبثاث، حيث ينتشر هواؤه فى الفم عند النطق به، قال ابن الجزرى : ... وللتفشى الشين... بيد أن بعض العلماء ألحقوا الفاء والضاد بالشين وجعلوا فيهما صفة التفشى وأضاف البعض الآخر حرفى الصاد والسين للتفشى لما فيهما من رخاوة وصفير.

لكن الجمهور يرى أن الشين تختص بالتفشى دون غيرها. نظراً لرخوتها وهمسها واتساع مخرجها وانفتاحها واستفالها.

٧- صفة الاستطالة:

وهى خاصة بصوت الضاد حيث يمتد الصوت معها من أول حافة

---

(١) الكتاب: ج٤ ص ٤٣٥ .

اللسان إلى آخرها ليشمل الحافتين الأماميتين، فيمتد صوتها من الحافتين الخلفيتين إلى الأماميتين حتى يصل بمخرج اللام.

وامتداد الصوت فى الضاد ليس كامتداده فى حروف المد الثلاثة (حروف الجوف) لاختلاف طبيعة المخرجين، فالضاد مخرجها محقق، وحروف الجوف مخرجها مقدر[1] فامتداد الصوت فى الضاد سببه استطالة مخرجها لبيان رخاوتها فيجرى الصوت فى مخرجها وينتهى بانتهاء المخرج، وزمنها مساوٍ لمخرجها مثلها مثل باقى الحروف الرخوة المحققة.

أما امتداد الصوت فى حروف المد الثلاثة فسببه اتساع مخرجها وتباعد طرفيه ووجود ذات الحرف بامتداد الصوت فيه، فيجرى الصوت فى ذات الحرف، وزمنه يضبط بالحركات، وهو زمن قابل للزيادة حيث ينتهى صوت الحرف لانتهاء الهواء لا لانتهاء المخرج.

٨- صفة الغنة:

وهى صفة لازمة لحرفى النون والميم، حيث يحتبس الصوت فى مخرجيهما، ثم يجرى فى الخيشوم.

٩- صفة الخفاء:

ويراد بها خفاء صوت الحرف عند النطق به، وحروفه أربعة يجمعها قولنا (هاوى) أى الهاء وحروف المد واللين الثلاثة «الألف، الواو، الياء». فالهاء لها صفة الخفاء لاجتماع صفات الضعف فيها، فهى «مهموسة، رخوة، مهتوتة» ويصعب مد صوتها، وذلك لشدة اتساع ما بين الوترين الصوتين عند النطق بها، فيتدفق النفس عند إخراجها بحيث لا يستطاع الاستمرار

(١) انظر المخرج المحقق والمخرج المقدر: ص ٤٣ وما بعدها.

فى صوتها، ووصف حرف الهاء بالخفاء يعنى إرادة بيان خفاء صوتها واستتاره عند النطق بها ساكنة فقط.

وأما خفاء حروف المد فمن أجله طال مدها إذا التقت بهمزة أو سكون، لسهولة حرف المد وصعوبة الهمزة أو الساكن بعده، ولأنه إذا وقع الأصعب بعد الأسهل يهتم الطبع بالأصعب فيذهل عن الأسهل فينعدم فى اللفظ.

وعلى أية حال فإن حروف المد الثلاثة ليس لها مقطع عند إخراجها وإنما هى صوت ممتد جوفى تخرج من تجويف الجهاز الصوتى، من أجل ذلك يجب إظهارها قبل الهمزة بمدها خوفاً من سقوقها لخفائها وصعوبة نطق الهمزة بعدها، وإنما يجب أن يكون الهمز قبلها.

والآن نذكر الصفات التى لا ضد لها على نحو ما ورد فى المقدمة الجزرية، يقول صاحبها :

صفيرها صاد وزاى سين ∴ قلقلة قطب جد واللين
واو وياء سَكَنَا وانفتحا ∴ قبلهما والانحراف صُحِّحا
فى اللام والرَّا وبتكرير جُعل ∴ وللتفشى الشين ضاداً استطل

لكن، كيف يمكننا استخراج صفة كل حرف؟

عندما نريد استخراج صفات كل حرف يجب اتباع ما يلى :

١ - نبدأ أولاً بالصفات التى لها ضد، فإذا أردت التعرف على صفات أى حرف من الحروف نظرت فى حروف الهمس المجموعة فى قولهم «مهموسها فحثه شخص سكت» فإن وجدت الحرف المراد معرفة صفته فيها فهو مهموس، وأن لم توجد فهو مجهور.

٢ - ننتقل إلى الصفة التالية وهى صفة الشدة المجموعة فى قولهم : «شديدها لفظ أجد قطٍ بكت» فإن وجدت صفته ضمن هذه الحروف كان شديداً، وإن لم توجد فهو متوسط مجموع فى قولهم «وبين رخو والشديد لن عمر» فإن لم توجد فهو رخو.

٣ -ننتقل إلى الحروف المستعلية المجموعة فى قولهم «وسبع علوٍ خص ضغط قظ» فإن وجدت صفة الحرف المطلوب معرفتها ضمنها فهو حرف مستعلٍ، وإن لم توجد فهو حرف مستفل.

٤ - ننتقل إلى الحروف المطبقة المجموعة فى قولهم «وصاد ضاد طاء ظاء مطبقة» فإن وجدت صفة الحرف المطلوب معرفتها ضمنها فهو حرف مطبق، وإن لم توجد فهو حرف منفتح.

٥ - ننتقل إلى الحروف المذلقة المجموعة فى قولهم «فر من لب الحروف المذلقة» فإن وجدت صفة الحرف المطلوب معرفتها ضمنها فهو حرف منذلق، وإن لم توجد فهو حرف مصمت.

٦ - ثم بعد ذلك ننتقل إلى الصفات التى ليس لها ضد بدءاً من صفات الصفير المجموعة فى قولهم «صفيرها صاد زاى سين» فإن وجدت صفة الحرف المطلوب معرفتها ضمنها كانت هذه الصفة هى السادسة للحرف.

٧ - ننتقل إلى صفة القلقة المجموعة فى قولهم «قطب جد» فإن وجدت هذه الصفة ضمنها كانت هي الصفة السابعة للحرف.

٨ - ننتقل إلى صفة اللين المجموعة فى قولهم «واو وياء سَكَنَا وانفتحا قبلها» فإن وجدت هذه الصفة ضمن هذه الحروف كانت هى الصفة الثامنة للحرف.

٩ - ننتقل إلى صفة الانحراف المجموعة فى قولهم «والانحراف صُحِّحَا فى اللام والرَّا» فإن وجدت هذه الصفة كانت هى الصفة التاسعة للحرف.

١٠ - ننتقل إلى صفة التكرير وهى خاصة بحرف الراء فقط، ثم التفشى وهى خاصة بحرف الشين، ثم الاستطالة وهى خاصة بحرف الضاد.

ونود أن ننبه إلى مايلى:

* كل حرف لابد أن يأخذ صفة واحدة من كل صفتين متضادتين فيكمل له خمس صفات ما عدا الألف فلا تجمع من الصفات إلا صفات الجهر والرخاوة.

* الحرف الوحيد الذى له سبع صفات هو الراء، لأنه يحمل من الصفات المنفردة صفتين هما «التكرير والانحراف».

* الحروف التى لها ست صفات هى التى ورد ذكرها فى الصفات التى لا ضد لها ما عدا الراء وهى: «الصاد والزاى والسين» الصفة السادسة لهم هى الصفير.

* القاف والطاء والباء والدال والجيم الصفة السادسة لهم هى القلقلة.

* الياء والواو المحققتان الصفة السادسة لهم هى اللين.

* اللام الصفة السادسة له هى الانحراف.

* الشين الصفة السادسة له هى التفشى.

* الضاد الصفة السادسة له هى الاستطالة.

* الميم والنون الصفة السادسة لهما هى الغنة.